رؤى عربية لعلاقة الاستشراق للتبشير

Arab visions of the relationship of orientalism to evangelism

الرتبة: الدكتورة بوزقاو مريم

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس- الجزائر-

أصبح موضوع الإ ستشراق والمستشرقين ،من المواضيع التي تشد انتباه علماء الإسلام و الأدباء والنقاد العرب ذلك أن الإستشراق أصبح اليوم علما له كيانه ومنهجه، فاتسعت حدوده وتداخلت مفاهيمه وتنوعت أفكاره لذا وجب على كل دارس وباحث أن يحدد مفهوم الإستشراق ويبين دلالاته، فالاستشراق هو الدراسات التي قام بها الأدباء والعلماء الغربيون للعالم العربي عامة والإسلامي خاصة

أنور الجندي وموقفه من الاستشراق

كثير من المفكرين لم يقبلوا الانصهار في حضارة الغرب، وحطموا قيد التبعية وحفظوا هويتهم الإسلامية وكان لهم الفضل في كشف خفايا المؤامرة، على الإسلام وتصحيح المفاهيم والمسلمات الوافدة ومن بين هؤلاء الأستاذ **أنور الجندي** الذي تعد أعماله إسهاما مهما، في أسلمة الثقافة والفكر والتربية، علاوة على المساجلات الفكرية والأدبية مع دعاة التغريب، فقد واجه المتربصين بالإسلام من المستشرقين ودعاة التغريب.

كما قام بمحاربة دعاة التغريب، فعرى أقلامهم وكشف ألاعيبهم، كما انصب اهتمام أنور الجندي على تصحيح المفاهيم بعد الكشف عن المؤامرات ومخططات الاستشراق والتبشير والتغريب.

فعكف على التأليف في الغزور الفكري الاستعماري الاستشراقي، كاشفا عن خلفياته ومحللا أبعاده راصدا لتحركاته، في شتى المحاضن الثقافية، فجرد قلمه لمواجهة حملات التغريب فكانت كتاباته بمثابة خناجر تغرس في صدور المستشرقين وهذا من خلال كتبه التي نجد فيها الرد والمواجهة لكل افتراءاتهم، فقد سعى إلى عرض أفكار المستشرقين فيما يخص التاريخ الإسلامي وقضايا فكان من نتاجه كتاب "سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية"، أورد فيه فصلا بعنوان أخطار المراجع الزائفة والمصادر المسمومة" إن من أخطر ما يواجهه المثقفون المسلمون هو أن يجدوا موسوعات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامي من وجهة نظر غربية، نصرانية، والهدف واضح هو تغريب الفكر الإسلامي وتزيف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائق" (الجندي، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، د.ت، الصفحات 16-17).

فهو بين لنا أن المستشرقين استخدموا جميع الوسائل للقضاء على الشخصية العربية فهم ودعاة التغريب من تلاميذتهم عملوا على نشر المصادر والكتب والمؤلفات المشكوك في صحته كلامها وحتى مؤلفها مثل كتاب ألف ليلة وليلة الأغاني للأصفهاني "الحق أن المستشرقين ودعاة التغريب هم الذين ألحوا على هذه الكتب وأولها الاهتمام وأعادوا طبعها وأذاعوا بها وحرضوا أولياءهم من التغريبيين أن يتحدثوا عنها...وذلك لأنها تفسد الحقائق وترسم صورة غير صحيحة ولا صادقة للمجتمع الإسلامي" (الجندي، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، د.ت، صفحة 11).

كما أشار أنور الجندي إلى الدور الذي لعبه دعاة التغريب أي أدباء العرب الذين تتلمذوا في أروبا وعلى يد أساتذتهم وهم كثر فقد تشكلت شخصيتهم ونفسيتهم حسب الظروف والواقع الذي عاشوا فيه "إن بعضهم قد تشكل نفسيا وفكريا تحت تأثير ظروف مختلفة تحط

من قدر العرب والإسلام واللغة العربية جميعا مع إعلاء الآداب الغربية والبطولات الغربية، وذلك نتيجة لما لفتوا من مراجع الأجانب وتحت تأثير الأساتذة الأجانب" (الجندي، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، د.ت، صفحة 10).

ويقول أنور الجندي في كتاب له "كان الاستشراق أخطر أدوات فرض المنهج العلمي الغربي الوافد، ذلك أن الاستشراق في أبسط مفاهيمه وإنما هو استخدام العلم في خدمة السياسية ولذلك فقد إتصل الاستشراق بالاستعمار واتخذ من روابطه الدينية أساسا لتدمير النفس العربية الإسلامية وإخراجها من أصولها وحدودها" (الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، 1974، صفحة 421).

1- ارتباط الاستشراق بالتبشير من وجهة نظر أنور الجندي:

يؤمن أنور الجندي من خلال الترابط الزمني بين الاستشراق والتبشير، في ظروف النشأة بوحدة المضمون واختلاف المسمى، ويؤكد ذلك بأن هاتين القوتين نشأتا بعد الحروب الصليبية في حضانة الكنيسة، فيستدل من هنا على باعث الاستشراق في استهداف الدراسات المشبوهة، التي تعني بالإسلام عقيدة وفكرا وتاريخا وتطلعات التبشير في إطارها مما يؤكد نظرية المضمون الواحد مع اختلاف المسمى، وعلى ضوئه يمكن أن نصوغ فهمنا لحقيقة التبشير وطبيعة الاستشراق (الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، 1978، صفحة 91).

بهذا قد كشف عن الوجه الحقيقي للاستشراق والتبشير فهما مؤسسة واحدة، فقد اقترن الاستشراق بالتبشير فهما مدرسة واحدة، من حيث الأهداف والتطلعات والبواعث والشبهات والأفكار، مع تلازم هاتين القوتين مع التغريب الذي يمثل القاعدة العامة لهما، وكل من هذه القوى يمثل دعامة للاستعمار الغربي، ويثبت وجوده فكريا أو عسكريا، وقد تأكد لنا في سياق العرض لشبهات التغريب والاستشراق وذلك لدعم الدول الاستعمارية، لهذه الاتجاهات بما تحمل من غايات ومقاصد.

وهنا يقول أنور الجندي في هذا الصدد "فالاستشراق في شطريه- عاملا مع الكنيسة أو عامل مع وزارات الاستعمار – لايستطيع أن يخلص إلى الحق إنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات، وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير" (الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، 1978، صفحة 91)، وهكذا يشترك التبشير والاستشراق في العمل من خلال أهم الجوانب التوجيهية الهامة في التعليم بوسائلها المختلفة.

ومن هنا يرى أنور الجندي ضرورة التنبه والالتفات إلى الفوارق التي يجب أن تكون واضحة في ذهن الباحثين المسلمين لكتابات المستشرقين والمنصفين منهم مع قلتهم وبين المبشرين الذين لبسوا لباس الاستشراق.

يحاول المستشرقون عبر دراستهم، أن يزيلوا الهوة بين الإسلام والمسيحية ببيان أثر المسيحيةعلى الإسلام، وإسقاط العلاقة بين دين محمد صلى الله عليه وسلم والسماء حتى يظهر الإسلام وكأنه دين بشري مستمد من الفلسفات والعقائد السابقة له تلك الخطة التي دأب

كتاب المستشرقين عليها وداروا في فلكها فطن المفكر أنور الجندي، لهذا التطلع الصليبي، فأخذ يتتبع آثارهم في كتاباتهم عن الشرق بصفة خاصة، ويعرض نماذج من طريقهم في البحث، ويكشف عن تلاعبهم وتصحيفهم للحقائق.

لكن مع هذا فأنور الجندي لاينكر الايجابيات التي قدمها المستشرقون للفكر الإسلامي لاسيما في مجال التبويب والفهرسة، لكتب الحديث والتراجم، إلا أنه يأخذ على إيجابياتهم أمرين الأمر الأول: سرقة التراث الإسلامي بأساليب متنوعة وانتقاله إلى دائرة المستشرقين، يعد من أخطر التحديات، ذلك أنه أصبح حجة على المسلمين لا لهم وأصبح يعرض على النحو الذي يختاره الاستشراق، بعيدا عن تصور المسلمين وإرادتهم مما يهدد وحدة الفكر الإسلامي، بمايضم من عقيدة وتاريخ ولغة، لذلك يرى أنور الجندي بأن نظرتهم لكثير من القضايا تعبر عنهم فقط وكذا نظرتهم للإسلام على أنه دين لاهوتي محض كالمسيحية، في حين أن الإسلام دين ودستور وحياة وقد تأثروا بوجهة نظر السياسية الاستعمارية وخضوعها لها، قصور أفهامهم عن إدراك حقيقة الفكر الإسلامي وطبيعته، التي تربط بين الثابث والمتغير والروحي المادي والدنيوي والأخروي، فكل هذه الاعتبارات تجعل أراء المستشرقين تختلف عن التصور الفكري الصحيح للإسلام (الجندي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، 1978، صفحة 87).

فقد أشار أنور الجندي إلى اتجاهات الاستشراق والتبشير والصهيونية والاستعمار ما بينهم من علاقة، ويكمن خطر الأول (الاستشراق) أنه يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة وبأحكام مقررة وأهداف واضحة أساسها خدمة النقوذ الاستعماري والسياسي.

فأنور الجندي يحاول أن يصور لنا الخطر الأكبر الذي يواجه فكرهم وعقيدتهم ولكن هناك ردة فعل لأدباء العرب المسلمين "ومن كل هذا نجد أن المواجهة الإسلامية العربية للفكر الغربي كانت مواجهة خطر واضح، والهدف مدبر ولم تكن مواحهة فكر لفكر على نحو يستطيع أن يأخذ أو يترك، وأن يحدد موقفه سلف بتأكيد ذاتيته ومعرفة ما يتلقى فيه مع الفكر الغربي أو يختلف معه" (الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، 1974، صفحة 443).

فمهما قام الغرب بمحاولات ضد العالم الإسلامي إلا أنه يواجه دعائم وأسس لا يستطيع حتى زحزحتها وهي التي يقوم عليها الفكر الإسلامي "كاللغة العربية والقرآن ونبوة الرسول صل الله عليه وسلم ووحدة المسلمين وفي كل هذه القضايا لا تستطيع المناهج الوافدة أن تستوعب الأصول والحقائق حتى لو أرادت أن تحكم حكما نزيها صادقا ثم هي في نفس الوقت تعجز عن هذا الحكم لأمرين لخضوعها لأيدلوجيات لغاتها وفكرها ولمفهومها الموروث إزاء الشرق والغرب والأجناس من غير الجنس الأبيض" (الجندي، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، 1974، صفحة 443).

إن أكبر خطأ وقع فيه الشرق والمسلمون عامة، أنهم اعتمدوا على تلك الدراسات الاستشراقية والتي كان يغلب على أسلوبها الموضوعية الزائفة، في أهم ما يختص بمباحثه

وتاريخه ودينه، ولم نر أدلة موضوعية تظهر في كتابات المستشرقين على أبناء جلدتهم، وعلى ذلك فلا يرى أنور الجندي أي ارتباط بين هذه الدراسات والموضوعية العلمية، ويوجه المسلمين، إلى أن يلتمسوا ثقافتهم وتاريخهم في محيط الموروث الفكري والعقائدي والحضاري، الذي حفلت به أمهات الكتب وآلاف الدراسات التي توجت بأقلام رجال الفكر والثقافة في الشرق، لا نلبس أنفسنا لباسا لايتناسب والطبيعة الفكرية والثقافية لنا، ويشير إلى محاذير التعلق والاعتماد على دراسات المستشرقين، فيرى أنها أفقدت الكثير من ثقته بنفسه في البحث والنظر، فيفقد الهوية الثقافية المستقلة، ومن ثم يكون عبدا لكل ما يصدر عن كتابات المستشرقين من الغث والسمين، فلا يكاد يتبين الحق فيقع في حمل وتبني، تلك الأفكار التي في ظاهرها الموضوعية وفي حقيقتها مصادرة لمقومات الفكر الإسلامي الصحيح(الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، د.ت، صفحة 215).

والواقع يؤكد ماذهب إليه المفكر أنور الجندي، فقد سارت أعمال المستشرقين في دائرة الانحراف في منهج العمل التاريخي، وقادهم ذلك إلى مغالطات علمية وتاريخية أثناء عرضهم لأحداث التارخية وغيرها، ومعلوم بأن (اختلاف شكل المرئي باختلاف زاوية الرؤية)، والباحث الأوربي ينطلق من مواقف متعددة، مما يجعل نتائج هذه الدراسات منصرفة، عن قاعدة المنهج العلمي الصحيح، وإن احتمل بعضنا حسن النية إلا أن الأمر يلزم مخاطر كبيرة على تاريخنا وفكرنا ولغتنا (الجندي، كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار، 1985، الصفحات 76-77).

ومن الحق أن يقال بأن حركة الاستشراق تمثل العدو الأكبر للعرب والمسلمين، ذلك بما حملت من أهداف خطيرة، وما كانت دراساتهم وأبحاثهم إلا تعميقا لروح العداء الصليبي للاسلام وأهله، ومن هنا فإن موجه الإلحاد، التي يقودها حملة الفكر الاستشراقي، تستهدف غايتها بكل الوسائل التي لايظهر فيها وجه العداء الحقيقي، للمسلمين لذلك فقد كانت جهود المفكر أنور الجندي بمثابة ناقوس صحوة للأجيال المخدرة ببريق تلك الدراسات التي تستهوي العقل ببريق ألفاظها، ولعل الكثير من الدارسين حتى من حملة الشهادات العالية ينقصهم هذا الفهم التحليلي لتلك الابحاث والدراسات، لذلك كان من الضرورة أن نعتمد في دراساتنا التاريخية والدينية على المصادر العربية الأصلية ونخضع كل الدراسات الغربية لمنهج التحقيق العلمي، حتى تشمل دراسات المنصفين منهم، فإن هناك مزجا لا يتم الفصل فيه إلا بالنظر والكشف بناء على المقاييس الإسلامية.

كما أشار أنور الجندي إلى دائرة المعارف الإسلامية في أنها لها اليد الطولى للمستشرقين فقد هيؤوها لمبعوثيهم وتلاميذهم بجميع اللغات وفيها هذا يقول العلامة تقي الدين الهلالي "أن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربي فقد بث المستشرقون سمومهم ويدعهم وأقاويلهم الكاذبة في هذه الموسوعة" (الجندي، سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، د.ت، صفحة 19).

فقد سما الاستشراق لغسل أذهان شبابنا المسلم، لذا وجب علينا التذكير بوجه الحق فيها حاول التغريب والفكر الاستعماري الغربي القضاء على الصورة الحقيقية للإسلام إلا أن هناك من يدعو "العلماء المسلمين إلى ضرورة التصدي لأراء المستشرقين وتفنيد ادعاءاتهم،

وإنني أرى من الواجب على العلماء المسلمين اليوم أن يدخلوا مرحلة جديدة في مناقشة المستشرقين"(السفياني، 1996، صفحة 26)، فيجب مناقشتهم والدفاع عن الأحلام "قد أثبتت البحوث العلمية أن المستشرقين يخوضون في الإسلام أشد وأنكى ما خاضت فيه الفرق الضالة"(السفياني، 1996، صفحة 26)، لذا وجب التصدي لهم ويصرح الكاتب عابد بن محمد السفياني بأن أفكار ودراسات المستشرقين لا يجب أن تؤخذ على أنها مسلمات لأنها افتقرت للدقة والحقيقة العلمية.

ولأن ليس لهم دراية باللغة العربية ولا بالمنهج الإسلامي ولا يلزمون بأصول الفقه الإسلامي إلا أن هناك الكثير من الأفكار التي انتشرت وتستشرق تحت لباس البحث العلمي "وليس العجيب من هؤلاء المستشرقين وإنما العجب من تابعهم الذين يتكلمون بلغتنا وينتسبون إلى العالم الإسلامي" (السفياني، 1996، صفحة 23)، فهم يرددون ما قاله زعماؤهم وما تعلموه عنه "إن الإسلام ليس فيه نظام اقتصادي ولا نظام سياسي ذلك لأن الشريعة خارج نطاق الدين، فهي ليست منه ومن ثم لا تحكم الحياة الاقتصادية ولا السياسية"(السفياني، 1996، صفحة 23).

فهم يريدون فصل الدين عن الدولة ونسبة العالم الإسلامي على أنه علماني، ولهذا راحوا يشوهون عقيدة المسلمين بعقول شيطانية ونوايا إستشراقية معرضة، ومخططات استعمارية لا تخدم إلا دولهم وعقيدتهم الباطلة.

هذا الغزو الفكري الذي قام به الاستعمار والتبشير والاستشراق بكل وسائله وطموحاته وكيده لأمة الإسلامية وإن استطاع أن ينال من المسلمين بأن يغريهم بالمطامع أو انفتاحهم وحرية المطلقة، إلا أن العقيدة في نفوس المسلمين لم تستطع أن ينال منها شيئا.

مالك بن نبي الرافض والداعي إلى التحصين

شكل موضوع الاستشراق هاجسا لدى الباحثين والنقاد العرب إلى درجة أنهم أولوه عناية كبيرة وذلك الاستشراق من أهم المسائل التي تواجه عالمنا العرب الإسلامي ولعلاقته بالدوائر الاستعمارية وبالتبشير، وكذا بالتوجهات الحضارية ككل وهنا يتحدد لنا موقف **العلامة مالك بن نبي** فموقفه بني على الرفض المطلق لجهود المستشرقين.

والتقليل من الجوانب الحسنة التي أسموا بها، و"هذا الأمر لا يرضي الطرف الآخر الذي يثني على جهود المستشرقين وينسب إليهم الفضل في التعرف على التراث أولا ثم خدمته ثانيا"(النملة، 1993، صفحة 36).

وموقف مالك بن نبي معاد للاستشراق وكل ما يصدر عنه ويأتي فهو ينسب إلى المستشرقين مصالحا وأهداف ونوايا خبيثة مشبوهة معادية للعرب والمسلمين، فأنتج لنا كتابه **"إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"** موضحا فيه ماهية الاستشراق وأثر هذه الظاهرة على الفكر الإسلامي.

وعلى العموم يعتبر مالك بن نبي من أوائل المحدثين في معالجة مشكلات الحضارة، بمنهجية علمية دقيقة وهوعلى وجه الخصوص أول المفكرين المسلمين ممن غاصوا حديثا في أعماق الحضارتين الغربية والإسلامية، بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة من جهة ومقارنة بين المفاهيم الغربية والإسلامية كالديمقراطية والإسلام، والأصالة والعصرنة، فهو مفكر إسلامي وفيلسوف اجتماعي اهتم بمشكلات الحضارة وأصولها وعوامل نشأتها وانحلالها وبالصراع الفكري الإيديولوجي في البلاد المستعمرة، وهناك في فرنسا وبنظره وتعايشه، وتأمله تأثر كثيرا بالثقافة الأوربية ومفكريهم إلى جانب ذلك تأثر كذلك بالمفكرون المسلمون كأمثال ابن خلدون ومحمد عبده والأفغاني فزاوج بين الثقافتين الأوربية والإسلامية في تكوينه الشخصي (مالك بن نبي، د.ت، الصفحات 40-60)، فمالك بن نبي مفكر إسلامي اجتماعي ورائد إصلاحي عايش الاستعمار الفرنسي كما أنه تعرف على الثقافة الغربية لعيشه فيها ولذا سنذكر رأيه في الثقافة الغربية "النخبة المسلمة تختار الأفكار المميتة في الثقافة الغربية، وأن الأفكار المميتة هذه لا تمثل الواقع الغربي وذلك لأن هناك خيار في الواقع، لأن العالم الثقافي الغربي ليس كله مميتا، إذ أنه ما يزال يبعث الحياة في حضارة تنظم حتى الآن مصير العالم"(مالك بن نبي، د.ت، صفحة 128).

نعود لكتابه إنتاج المستشرقين فنجده أولا قام، في إبداء رأيه بتحديد المصطلح "المستشرقين" الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية علينا أن نصف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين أولا من حيث الزمن طبقة القدماء مثل **جربردورييك، والقديس توماس الأكويني** وطبقة المحدثين مثل: **كان درقو، وجولد تسهير**، ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم فهناك طبقة المادحين للحضارة وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"(مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 05).

هكذا قسم مالك بن نبي المستشرقين من حيث الزمن ومن حيث الاتجاه وقد استطاع أحمد سمايلوفتش أن يستقرأ لنا نتائج آراء العرب على ظاهرة الاستشراق بحيث "يستطيع الباحث بعد تفحص دقيق لهذه الآراء التي نسجها علماء العرب أن يستخلص النتائج الآتية سابقا:أن الاستشراق في المفهوم العلمي علم يفهم في رحابه الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وحضارته ولهم طبقات من حيث الزمن، (القدماء والمحدثون). ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام (المؤيدون والمنتقدون) والدراسة الشاملة للموضوع لابد أن تقوم على هذا الأساس و الترتيب كما يرى مالك بن نبي"(يلوفيس، 1998، صفحة 29).

ومن هذا المنطلق تأتي دراسة و رؤية مالك بن نبي للاستشراق"فمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا و لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أبحاث تأثر على أفكارنا" (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 25)، فهو يرى أن الاهتمام بدراسة الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة الحرمان سواء في صورة المديح،و الإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر، وأغمستما في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا أو في صورة التنفيذ والإقلال من شأننا بحيث صرنا حماة...عن مجتمع منه، مجتمع ما بعد الموحدين بينما كان من واجبنا أن نقف منه، عن

بصيرة طبعا ولكن دون هوادة لا نراعي في ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ دون أن نسلم لغيرنا عن الأصداع. أو نحن نصرح بأننا نجد على كل وجه جانبا إيجابيا في هذا الاستشراق فإننا لا نجده في صورة المديح بل صورة التنفيذ فعندما يعلن الاستشراق أنه لا نصيب للعرب في تشييد صرح العلوم (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 25).

مالك بن نبي ظاهرة فكرية ظهرت في العالم العربي المعاصر، درس الفكر العربي عن طريق الفكر العربي الاستشراقي وواجه الاستشراق من خلال كتابه **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث** فقد تميزت كتباته بالنظر والبحث والنقد وفي كتابه هذا صنف المستشرقين إلى طبقات وبين لنا أن أفكار المستشرقين لها أثر بالغ على المجتمع العربي "إن الجيل المسلم الذي أنتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية"(مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 08).

كما واجه مالك بن نبي في كتابه في المنهج الديكارتي بالمنهج الرباني "القرآن الكريم"، فهو يرى أن المنهج القرآني "أول عمل للفكر الإسلامي بل أول عمل علمي للفكر البشري من نوعه" (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 34)، وهو يقول "إن القرآن الكريم لم يأت قطعا، وبصورة مباشرة ولا بالحساب العشري ولا بالجر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعالم أن يتطور"(مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 28).

إذن فالقرآن الكريم أعظم معجزة خالدة لحد اليوم وأن القرآن الكريم منهج المجتمع به يتطور ويفكر ويتعلم ويعلم فالمنهج القرآني أساس قيام العلم والفكر في هذا العالم "واليوم أران تبرهنا هذه القيم الشامخة وتتيح في عالم الخيال لما تذكرها أقلام المستشرقين، وإن تذكرها يعترينا مركب النقص، وفي كلتا الحالتين تصب هذه الدراسات في روحنا حرمانا مزدوجا " (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 41).

فنحن في معركة فكرية ويجب أن نحدد موقفنا إما أن نواجههم أو نتبعهم ومالك بن نبي يدعونا لعدم الاستسلام "وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستغلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي" (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 48).

لذا وجب لنا أن يوضح لنا هذه النقطة وبين لنا كيف نتخلص من التبعية في قوله هذا "يجب أن نضيف له أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه ولن يمكن للمجتمع في عهد التشييد أن يشيد بأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت منتمية

إلى الاستشراق أو الشيوعية (مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 1969، صفحة 48).

موقف مالك واضح هو الرفض ومواجهة بكل السبل وهو بهذا الكتاب يريد أن يستنهض الشباب المسلم للقضاء على هذا الخطر الذي يداهمنا في وقرنا ويسعى إلى القضاء على الشخصية العربية الإسلامية.

محمود حمد شاكر قد واجه هذا التيار فأسماه حملة هموم الشمال المسيحي فنستشهد بما حدث بمصر أيام محمد على إذ كان لتلك البعثات العلمية إلى الخارج دور فعال في إفساد وترويج ثقافة الغرب إلى العالم العربي إسلامي(شاكر، 1407ه، صفحة 141).

محمود محمد شاكر وموقفه في الاستشراق:

هو من أشد المواجهات الفكرية المعاصرة إذ يكشف في كتاباته لنا خطورة الغزو الفكري وما كان يستهدف الاستشراق والتبشير والاستعمار وما كان بينهم "فهو دافع عن الأمة العربية الإسلامية وقد دافع عن اللغة العربية وعن معضلة الدعوى إلى العامة وتاريخها فهو يبين لنا وإن كان منطق هؤلاء المستعمرين والمبشرين والمستشرقين في الاستنباط مخالفا للعقل تماما ومن أجل هذا كله يجب علينا مواجهتهم جميعا دون خفاء وبلا استثناء"(يلوفيس، 1998، صفحة 701)، نستشهد بمثال وهو ماحدث في الجزائر عندما حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على اللغة العربية "أن الحملة الفرنسية على الجزائر قد وقعت بعد ثلاثين سنة من الحملة الفرنسية،على مصر وهي الحملة التي تركت بصماتها على الشرق، وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ما عجز عليه الجيش...وخصوصا فيما يتعلق باللغة العربية"(أبو القاسم، 2007، صفحة 22).

نستنتج من هذا القول بأن فرنسا خاضت تجربتها مع مصر، وتعلمت منها لذلك كانت الجزائر طعما سهلا للاستيطان والاستعمار وكذا معرفته للغة العربية فاللغة هي المفتاح الأول للقضاء على أي أمة، واللغة العربية هي الوسيلة الضرورية لمعرفة البلاد وأهلها "اللغة العربية في الجزائر كانت لغة الحديث منذ قرون، ودراستها بطريقة جادة يمكن أن تقدم للفرنسيين فوائد جمة" (أبو القاسم، 2007، صفحة 24)، كمعرفة أفكارهم وحضارتهم ومواضع ضعفهم، فاللغة متصلة بالدين وحتى العادات والأعراف السائدة والجانب السياسي والاجتماعي.

ويضيف "مستشرق خبير في شؤون الاستعمار أن دراسة أدب الجزائريين، سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في العلوم والتاريخ والفقه والدين، ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم" (أبو القاسم، 2007، صفحة 25)، ورغم كل هذا فلقد ظلت اللغة العربية صامدة في ظل الاستعمار الفرنسي التي حاول قتلها في عقر دارها.

فقد غاب عن أذهانهم أن للأمة العربية فلسفة وهوية إيديولوجية معروفة صامدة أمام تيارات الغزو الثقافي لا يعتريها الوهم وهذه الفلسفة هي العقيدة الإسلامية(الهباء، 1994، صفحة 17).

لقد دافع عباس محمود العقاد عن الفكر الإسلامي دفاع المستميت وقلما نجد أحدا ينبع الفكر الاستشراقي خطوة خطوة بالتقدير والبحث فيه كالعقاد .

ومما يجدر الاشارة إليه هو قول عبده عبود في كتابه الأدب المقارن، وهو يتكلم عن الحملة العربية المناهضة للاستشراق، والتي أسهب الأدباء العرب في التحدث عنه فقد سخروا أقلامهم لهذا، ظهرت الكثير من الكتب والأبحاث والمقالات وكذا الندوات والمحاضرات "فإن نقاد الاستشراق من العرب متفقون، على أن الاستشراق نشاط علمي وفكري معاد للعرب والمسلمين، أي نشاط يرمي إلى الاساءة إلى ثقافتهم، ومجتمعاتهم، ولايتردد قسم كبير من هؤلاء النقاد في أن يعد الاستشراق حلقة من حلقات المؤامرة الغربية الصهيونية"(عبود، 1999، صفحة 11)، فغالبية النقاد العرب نظروا للاستشراق نظرة العدو الحاقد لأنهم كانت لديهم خلفية ودوافع فكرية وعقائدية مختلفة كخوفهم القضاء على الهوية القومية العربية، والتشكيك في العقيدة الإسلامية وغيرها.

ادوارد سعيد و الظاهرة الاستشراقية :

إنموضوع الاستشراق لا يزال من المواضيع التي تستحق الدراسة تلو الاخرى لأنه يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل، فقد تغلغل مصطلح الاستشراق في ذهنية الثقافة العربية، وغزى قاموس الحياة العربية وكيانها وهذا ما دفع الكثير من المفكرين والباحثين العرب، للقيام بعدة دراسات حول هذه الظاهرة وتعريفها والبحث عن سبيل المواجهة والتخلص منها أهم هؤلاء الدارسين العرب **"المفكر العربي المسيحي الفلسفي إدوارد سعيد"** من خلال كتابه (السلطة المعرفة الانشاء) قد قام بدور هام وفعال في عملية الانشاء وذلك من أجل التعرف على الآخر في إطار لغوي ذو لمعة، وجاذبية ناهيك عن السياسة الخفية والسلطة وتضارب المصالح والغايات التي يصبو إليها الطامعون فهو علم عربي تشبع بالاستشراق الامبريالي وكتب فيه في عدة مواضع وعالجه في العديد من الكتب، ومجمل كتبه تصب في الدفاع عن الثقافة الإسلامية بأبعاد سياسية وعلمية وأدبية وفكرية، وتعرض إدوارد سعيد لهجوم من الكتاب الغربين والعرب ومازال مثارنقاش لحد اليوم.

وفي هذا يقول إدوارد سعيد "ومع مرور الزمن اكتسبت كلمة الاستشراق، شهرة واسعة باعتبارها لفظة تجريح وتشهير، ومن المفارقات اللاذعة أنني شخصيا هوجمت، من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية، أثناء زيارة قمت بها إلى فلسطين (1996م)، بتهمةأنني مستشرق"(سعيد، 1997، صفحة 09).

ومن المستشرقين الذين انتقدو إدوارد سعيد في أطروحته مثل، **مكسيم رودنسون**فيقول في هذا الشأن "إدوارد سعيد أعطى للكلمة مساحة إديولوجية كبيرة، انتقد الاستشراق وأعطى إديولوجية خاصة للدراسات الاستشراقية، بحيث استخدم كلمة استشراق، في سياق مرذول وغير مرغوب فيه...هذا النقد بالنسبة لإدوارد سعيد وأنور عبد الملك، لا

يتوفر له الوضوح والاتساق الكافيين، فهما ينتقدان الاستشراق من خلال مفكرين غربيين آخرين، ومنهم من بدأ في نقد الاستشراق لأسباب شخصية فأنور عبد الملك لأنه كان يطمح في مكانة أكبر، ولم يحصل عليها في الغرب شرع في توجيه الانتقادات" (الشيخ، 1999، الصفحات 39-42)، ولكن **مكسيم رودنسون** يؤكد أن من حق أي شخص أن يكتب في أي مجال وحتى عن ظاهرة الاستشراق "بالطبع إدوارد سعيد له الحق في تحليل ظاهرة الاستشراق على هذا النحو أوذاك، لكن بالنسبة إلى أعتقد أنه ساهم في الخلط القائم في هذا الشأن"(الشيخ، 1999، صفحة 39).

وفي مجلة المؤرخ العربي في مقال معنون **حول طبيعة الاستشراق لساجدة عمر فوري تقول "**صدر في لندن عن دار راثلج في الشهر الماضي، (كتاب الأستاذ ادوارد سعيد عن الاستشراق)، وقد أثار الكتاب حال صدوره ضجة علمية وصحفية سبقها في أن هذا الكتاب يمثل أول مبادرة عربية علمية تتصدى لمعاهد الغرب الفكرية والتي ادعت لنفسها مهمة احتكار تدريس وتفسير وتصحيح أفكار العرب والمسلمين، وعليه فقد شعر كتاب الغرب بالقلق، وبات لديهم أن هذا الكتاب هو بادرة أولية لمثقفي المشرق في محاولة الأخذ بزمام مصائرهم وإعادة النظر في تاريخهم وما كتب عنهم"(فوزي، 1980، صفحة 01).

ولكلمة الاستشراق مدلولات كثيرة كمصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، أما الذين يحاولون "تحديد نشأة الاستشراق تحديدا علميا قائما على حدث علمي فيعيدون نشأة الاستشراق إلى سنة (712ه 1322م)، حينما عقد مؤتمر **فينا الكنيسي** ونادى بأنشاء كراسي للغات العربية واليونانية السريالية، في الجامعات الأربع الرئيسية في أوربا وهي باريس، إكسفورد، بولونيا وسلمنكا، وقد رأى هذا الرأي كثير من الذين كتبوا عن الاستشراق ويبدو هذا أقرب إلى الصواب لأنه يعطي تاريخا بعينه وحادثة علمية بالزمان والمكان والنتائج(بوفلاقة، 2005، صفحة 122).

وعلى حد قول **إدوارد سعيد "** أن مانسميه الاستشراق هو طريق الوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوربية الغربية، فالشرق ليس لصيقا بأوربا، وحسب بل إنَه كذلك موضع أعظم مستعمراتها وأقدمها ومصدر حضارتها وتمدنها"(سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 37).

فالاستشراق لدى إدوارد سعيد مرتبط بالشرق لأنه هو الأضعف والقوة تكمن للغرب قد استطاع استباحة الآخر للشرق بأرضه وثرواته، بل وقدرته على إكتشافه من الداخل ثقافة ووعيا وذاتا.

وبناءا على ماقيل فالاستشراق هو أكثر المصطلحات تفصيلا كونه يتضمن الموقف التنفيذي، السلطوي للاستعمار الاوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بيد أن الكتب لا تزال تكتب والمؤتمرات تعقد، ومحركها الرئسي هو الشرق فالاستشراق بمعناه الصحيح في رأي إدوارد "أسلوب من الفكر القائم على تميز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب"(سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 38)، ظاهرة

ينفرد بها الغرب في دراسته لأحوال الشرق ويتحدد المعرفة الاستشراقية، بما يقوله الغرب عن شؤون الشرق والشرق سابقا كان يضم الدول العربية والإسلامية وجنوب شرق آسيا والصين واليابان.

وبإيجاز فالاستشراق "كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه، فإن التكلم عن الاستشراق هو التحدث عن مشروع ثقافي بريطاني وفرنسي ينبثق من علاقة تقارب، خاصة قامت بين بريطانيا وفرنسا والشرق" (سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 39)، فهو يشير إلى أن الاستشراق هو الوسيلة من وسائل سيطرة الغرب علينا، وثمرة من ثمرات التآمر الغربي علينا.

ويؤكد "أن الاستشراق يستطيع أيضا، أن يعبر عن قوة الغرب ،وضعف الشرق كما يراها الغرب وهذه القوة وهذا الضعف قائمان في صميم الاستشراق كما يقومان أيَّة نظرة تقسم العالم إلى أجزاء كبيرة وعامة، وإلى ذوات تتعايش في حالة من التوتر يولده ما يعتقد أنه فرق جذري" (سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 37)، ومن هنا فالاستشراق لا يمكن حصره في تعريف بأنه ظاهرة تاريخية، ومنهج في الفكر، ومشكلة معاصرة، وواقع مادي، فقد تشعبت أهواؤه وميوله واتجاهاته في عالمنا الشرقي.

وفي هذا المقام نجد محمد الدعمي يدعم هذه الفكرة ويستشهد بكتاب إدوارد سعيد "إن الاستشراق يعكس طرائق التناول الغربي، للثقافة العربية الإسلامية ماضيا وحاضرا فقد تحول إلى شيء من الحمى بعد نشر وتعريب كتاب الاستشراق فهو مؤلف نقدي يعتمد على الخط الجدلي والأدوات الأكاديمية المناسبة لمباشرة آليات التفكير الغربي بالشرق لذا استقبل موضوع الإستشراق من قبل العقل العربي والمسلم المثقف بالكثير من الاهتمام الذي طفت آثاره على سطح وسائل الإعلام بأنواعها زيادة على تبلورها في عدد من المؤلفات التي حاولت نقد الاستشراق بالطريقة التي اعتمدها إدوارد سعيد (الدعمي، 2006، صفحة 07)، فقد قسم هذا البحث الأكاديمي في مجالات ثقافية غربية وعربية لذا تم استحضار أهم المنطلقات الفكرية العربية الإسلامية المعاصرة على سبب البرهنة، وعلى أن الماضي إنما هو كينونة حيوية ومولد فاعل في صناعة التاريخ المعاصر واستشراق المستقبل لدى العرب والمسلمين.

وأن ما يهم في الاستشراق هو "المجموعة العامة من الأفكار التي تطغى على كتلة المادة ومن يستطيع أن ينكر أنها كانت أفكار مستبقة بمذاهب التفوق الأوربي" (سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 47)، إذن هو حقيقة ثقافية وسياسية.

ربط إدوارد سعيد دراسات الاستشراق الغربية المتخصصة بدراسة ثقافة المستشرقين، إضافة إلى ربطها بالمجتمعات الامبريالية، مما جعل أعمال الاستشراق أعمال سياسية في لبها وأكد على التغير المستمر والماكر من دول مراكز أوربا اتجاه الشعوب العربية الإسلامية.

فاستطاع أن يقدم "استعابا منهجيا محكما ومدعوما بمعرفته الواسعة بالتيارات النقدية لأدبيات ما بعد الحداثة واللغات الأجنبية وأيضا الانتاج المعرفي الأدبي والتاريخي الغربي، لكن لابد من الأخذ بعين الاعتبار أهمية تأثير الفيلسوف الفرنسي ميشل فوكو الماركسي أنطونيو غرامس"(أحميدة، 2009، صفحة 11).

ولذا يرى مؤيدو إدوارد في كتابه الاستشراق كان حجر أساس في إنشاء حركة مابعد الاستعمار، ساعدت الباحثين الغير الغربيين على الاستفادة من المزاج السياسي في خلق حياة منهجية جديدة ودراسات مهنية ناجحة دون الاعتماد على نتائج الابحاث الغربية لهذا اعتبر إدوارد سعيدمؤسس نظرية ما بعد الاستعمار ثمة ترابط حميمي دائري بين الاستشراق والاستعمار، فالاستشراق هو عقلنة وتبرير للسيطرة الاستعمارية، رأى سعيد في غزو ومصر شاهدا أكيدا على ما يقول، حيث استشار نابليون العلماء، قبل بدء مشروعه ومن ثم وما إن تسنى له الانتصار حتى انطلق الاستشراق (سعيد، الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، 1995، صفحة 378).

فالاستشراق له منحى سياسي يتخفى في ثوب ثقافي، فهو في ذهن سعيد مشاعر واجب التحرر منها لذا يجب مواجهة الغزو الفكري الذي خلقه الاهتمام الأوربي بالشرق على نحو سياسي أدى استعماره فهو كامن خفي يمثل الثقافة الغربية وهوظاهر ومؤثر من خلال الاستعمار.

وهكذا نجد محمد الفيوميوافق ادوارد سعيد رؤيته إلى الظاهرة الاستشراقية الغربية "إلا أنه لم يكن مبالغا حين كشف الاستشراق، ووضح نواياه وأعماله التي تعاملت مع الشرق"(الفيومي، 1994، صفحة 10).

ومن ثم فإن فعل الاستشراق أيقظ حمية المفكرين والمثقفين الشرقيين وكان هذا كرد فعل دفاعي إرادي لهذه الظاهرة.

لقت أطروحة إدوارد سعيد إستحسانا مثلما تعرضت لهجوم عنيف من أكثر من موقع، ومنطلق ولأكثر من سبب أشدها كان من المستشرق برنارد لويس **(Bernald louis)** الذي أشار إلى وجود مغالطة منهجية لايمكن تبريرها في أطروحة إدوارد (الجندي ن.، 2005، صفحة 100)، وواقع الاستشراق من حيث منظوره التاريخي "هو أسلوب غربي لسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه وبأن الاستشراق قد شكل الحضارة الشرقية في كوكبة من الأفكار الشرقية بالاضطهاد، والأمة الشرقية والصورة الشرقية وحواسه" (الفيومي، 1994، صفحة 10)، فادوارد نقد ورفض الاستشراق من المنابع التي أمدت المستشرقين بأدواتهم الابستمولوجية.

وبناء على ما سبق يتضح لنا أن الاستشراق اختبأ وراء وجه جميل بريء لكن داخله لطالما أضمر الحقد والكراهية للاسلام والعرب محاولا إبراز الفوقية والسيطرة والقوة، والانا الامبراطورية على حساب الشرق الذي وصفه بالتخلف فقد حاول سعيد أن يظهر الاستشراق في حلته الخبيثة المتنكرة في ثوب المعرفة من أجل توسع الهيمنة الغربية على الشرق.

إن تجربة ادوارد من خلال كتابه الاستشراق، مكانة وأهمية كبيرة في نقد الاستشراق الذي تعرض له الكثير من الأدباء العرب، ولكن نقد سعيد هو النقد المتكامل الذي استطاع به أن يرد على الفكر العربي، كما يمكن القول إنه إنتقدهم بلغتهم أي بلغتهم الانجلزية، مما أزعج كثير منهم ازعاجا شديدا وجعل الكثير من المستشرقين يتفطنون ويتأهبون لوجود مثل هذا الناقد، فقد ركز ادوارد سعيد في نقده على جانب واحد وهو الارتباط بين الاستشراق وفكرة الهيمنة والسيطرة والتشويه لصورة الشرق ومن هذا المنطلق نجد الكاتبة ساجدة عمر فوزي تتحدث في مجلتها عن طبيعة الاستشراق عند ادوارد سعيد تقول "أولا الاستشراق ومن الهيمنة السياسية والحضارية للغرب، خاصة أن بدايات علمالاستشراقظهرت وتطورت أثناء الضعف السياسي والحضاري للشرق، وثانيا إن الاستشراق هو تقليد وليس علم أو بكلمة أحسن الاستشراق يقوم على مجموعة تقاليد رافقت فترات الاستكشافات العلمية والجغرافية، وقيام المستعمرات هذه التقاليد التي عززت الطابع العنصري والعداء الديني للأقوام المستعمرة"(فوزي، 1980، صفحة 357)، إذن فالاستشراق السياسي والتنصري، هما أنشط الاستشراقات وهما يحاولان استغلال الأزمات التي تمر بها المنطقة العربية والملاحظ أن الاستشراق السياسي هو المسيطر على الساحة الفكرية لسيما في وقتنا الحالي.

وهناك ارتباط كبير بين الشرق والإسلام "لقد اقترن الشرق وفكرة الشرق، بمفهوم الخطر الإسلامي الداهم ولذلك فإن الطابع الدفاعي لهذه الدراسات والحاجة إلى الاقتصاص والتأثر من العرب والمسلمين صيغت لتلك الدراسات القديمة، وأثرت في تكوين الفكر الاستشراقي الحالي"(فوزي، 1980، صفحة 369)، ومن خلال هذه النظرية فالمستشرقون متحاملون على الشرق محاولين اظهار مساوئ الشرق وإبراز حسنات الغرب.

ومن الملاحظ أن ردت الفعل العربي والإسلامي على فعاليات هؤلاء المستشرقين في أول الأمر لسيما النخبة العلمية والأدبية، فقد دهش البعض لهؤلاء الذين يفدون على العالم الإسلامي من ديار بعيدة فيقيمون علاقة صداقة مع أهله، ويحاولون التعرف على ما فيه وتحسس البعض الآخر لاعتبارات دينية واجتماعية، ولكن قوة النفوذ الاستعماري، أجبرت الكثيرين من النخبة الى تقبل الواقع على اختلاف مشاربهم.

وفي هذا الصدد نجد الكاتب ناصر علي في مجلة الجدلية يقول ومن الأعمال الغربية الأخرى مهمة في نقد الاستشراق وكشف صلته بالاستعمار، والتنصير (كتاب ادوارد سعيد) ومن فضائل الصحوة أيضا أنها نبهت المسلمين إلى الغزو الفكري الثقافي الغربي والذي يعتبر الاستشراق مسؤولا عنها، للصحوة الإسلامية أيضا دور في مقاومة هذا الغزو ورد المسلمين إلى أصولهم وهويتهم ووعيهم بدينهم وحضارتهم وبأفضلية الحضارة الإسلامية، على الحضارة الغربية(علي، 1971).

فادوارد كشف عن الاستشراق وبين لنا وجه الحقيقي وأبرز أدواته وآلياته وطرقه القديمة والحديثة، وفضح جانبه التعسفي المهيمن وكشف عن ترابط القوة والمعرفة، في علاقة الشرق وتحكمها بالخيال الذي أنتج هذا الشرق مكونا وجاهزا، للغرب أولا وللشرق ذاته فالاستشراق في نظره يعكس طريقة تناول الغرب للشرق أو العالم العربي الإسلامي ماضيا وحاضرا.

ويؤكد أنور الجندي بقوله "فالكتاب الغربيون على وجه العموم، تحكمهم عقدة التفوق التي تجعلهم ينظرون إلى البشرية، فيرون أن الجنس الأبيض، أكثر تقدما بحكم طبيعة أن الأوربيين متقدمون، على الشعوب ومهدون لها أيضا" (الجندي أ.، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، 1974، صفحة 22)، ونستشهد هنا بقول "لأحد المستشرقين الفرنسين لقد كان على السادة الجدد يعني الفرنسين أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة، وفهم السكان ولايمكن مطالبة المنهزمين يعني الجزائرين بتعلم لغة الغزاة فورا بالإضافة إلى نشر اللغة العربية بين الضباط، والموظفين كان يعتبر وسيلة قوية للتقارب"(أبو القاسم، 2007، صفحة 24).

إن الاستشراق كمشروع فكري كان مرتبطا بطرق مهمة متصلة بالاستعمار الأوربي، الاستشراق هو ممارسة السلطة الأوربية على العالم الإسلامي وتدعيمها، أي التسليم بواقع الهيمنة الغربية إذن فادوارد سعيد كأنه المرآة العاكسة للمفاهيم الغربية للشرق.

وفي الأخير نجد الكاتب ساجدة عمر فوزي يخلص إلى ثلاث نقاط أنه لا يزال التسلط الحضاري قائما بدلالة، الاتجاه الثقافي إلى الغرب عن طريق المبعوثين والوفود، ولقد بدأت الآن بوادر الانتقال المكاني للاستشراق إلى الولايات المتحدة بعد زيادة عدد طلبة دراسات اللغة الغربية والتاريخ الإسلامي، الموفدين إلى أمريكا، وإن الشرق لا مكان له في الغرب وأكثر ما يقوم به هناك هو دور المعرف والمخبر تاركا دور البحث والتحري إلى سيدة الغرب(فوزي، 1980، صفحة 303).

وبناء على ما سبق إذن فهذه الحملة العربية الموجه للاستشراق لها دوافع فكرية وعقائدية ومصالح فكرية مختلفة ومتنوعة وإن اختلفت دوافعهم فهم متفقون على أن الاستشراق نشاط فكري، مضاد للعرب والمسلمين "نشاط يرمي إلى الإساءة إلى ثقافتهم ومجتمعاتهم، ولا يتردد قسم كبير من هؤلاء النقاد في أن يعد الاستشراق حلقة من حلقات المؤامرة الغربية الصهيونية"(مكي، 1988، صفحة 217).

فادوارد سعيد يرى أن الاستشراق في نظره ينحو على بث الشقاق بين المسلمين على أساس تغيرات قومية ويرى أن التبشير والاستشراق هما دعامة الاستعمار والفرق بينهما هو أن الاستشراق يتخذ مظهرا وصورة البحث والطابع الاكاديمي، بينما بقية دعوة التبشير في حدود المظاهر العقلية العامة أو الشعبية ويجاريه في ذلك أنور الجندي حين يقول "لا شك أن بين الاستشراق والتبشير فوارق واضحة ذلك أن الاستشراق عمل ثقافي يحمل معنى دراسة الشرق وجغرافيته وتاريخه وتقسيمه أممه وتراثه (الجندي أ.، الفكر العربي في معركة التغريب والتبعية الثقافية، 1962، الصفحات 200-201)، أما التبشير فهو حركة ينتقل بها مجموعة من المرسلين إلى بلاد الشرق حيث ينشؤون المدارس والمستشفيات والمعاهد التي تجذب أبناء البلاد وفق منهج مرسوم لنشر المسيحية بينهم غير أن هناك بين الاستشراق والتبشير خيوطا دقيقا وصيلات أساسية تتجه كلها إلى الهدف الذي رسمه الاستعمار وهو التغريب والغزو الثقافي (الجندي أ.، الفكر العربي في معركة التغريب والتبعية الثقافية، 1962، الصفحات 200-201).

الهوامش:

أحمد الشيخ. (1999). من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق. القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، ط1.

أحمد سيما يلوفيس. (1998). فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي.

إدوارد سعيد. (1995). الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء). لبنان: تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية.

إدوارد سعيد. (1997). الثقافة والامبريالية. بيروت: تر: كمال أبو ديب، دار الآداب.

أنور الجندي. (1962). الفكر العربي في معركة التغريب والتبعية الثقافية. بيروت: مطبعة الرسالة.

أنور الجندي. (1974). أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع. بيروت: دار الكتاب اللبناني، الموسوعة العربية، ط1.

أنور الجندي. (1978). شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي. بقطر: المكتب الإسلامي.

أنور الجندي. (1985). كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار. بيروت لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية.

أنور الجندي. (د.ت). سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامية.

أنور الجندي. (د.ت). مقدمات العلوم والمناهج. شارع عبدين، القاهرة: دار الأنصار.

ساجدة عمر فوزي. (1980). طبيعة الاستشراق. مجلة المؤرخ العربي، العدد 14.

سعد الله أبو القاسم. (2007). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. الجزائر: دار البصائر، ج4.

سعد بوفلاقة. (2005). الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني. مجلة بونة للبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية، العدد 03.

طاهر أحمد مكي. (1988). في الأدب المقارن (دراسات نظرية وتطبيقية). القاهرة: دار المعارف، ط1.

عابد بن محمد السفياني. (1996). المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيق. دار المنارة، ط2.

عبد عبود. (1999). الأدب المقارن مشكلات وأفاق. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

علي بن إبراهيم النملة. (1993). مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين إستقراء المواقف. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، سلسلة 2.

علي عبد اللطيف أحميدة. (2009). ما بعد الاستشراق "مراجعات نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي الحضاري. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.

محمد إبراهيم الفيومي. (1994). الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي. القاهرة: المجلس الأعلى للشوؤن الإسلامية، سلسلة 3.
محمد الدعمي. (2006). الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
محمود محمد شاكر. (1407ه). رسالة في الطريق إلى ثقافتين جدة. دار المدني.
مؤمن الهباء. (1994). لابد من دين الله...لدينا الناس، التنوير، لا لتضليل. القاهرة: الناشر، مكنة وهيبة، ط1، سلسلة 3.
ناصر علي. (1971). نقلا عن مقال الاستشراق في أزمة، لأنور عبد المالك، . باريس: مجلة الجدلية الاجتماعية.
نديم الجندي. (2005). أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي. بيروت: دار الفارابي.
نور الدين مسعودان مالك بن نبي. (1969). إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. بيروت: دار الرشاد، ط1.
نور الدين مسعودان مالك بن نبي. (د.ت). حياة، وآثار، شهادات، ومواقف. دار النون د.ط.